

إسهامات نسائية في الحكم عبر تاريخ العالم الإسلامي

د. سامية بن قوية

كلية الحقوق جامعة الجزائر - 1

ملخص

لطالما كانت مسألة مساهمة المرأة في الفعل السياسي في الإسلام موضوع نقاش مثير للجدل عبر تاريخ الأمة الإسلامية، سواء في الخطاب الإسلامي التقليدي أو المعاصر بسبب وجود نصوص تحرم على المرأة أن تكون ولية على الرعية المسلمة ومن المفارقات أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت قائدة عسكرية، ووجدت ملكات أخريات استطعن أن يصنعن مجد الأمة الإسلامية في اللحظات الحرجة

الكلمات المفتاحية : المرأة، الأمة الإسلامية، ملكات، ولية

Abstract

The question of the contribution of women to political action in Islam has always been the subject of controversial debates in the history of the Islamic Ummah, whether in traditional or contemporary Islamic discourse, paradoxically Mrs. Aisha, may Allah be pleased with her, was the leader of the rebels against Ali, may Allah be pleased with him while historians do not dare to say that Aisha was a military commander and other queens have succeeded in making the glory of the Islamic nation at critical moments.

Keywords: women, islamic nation,.

المقدمة

من خلال دراستنا للنظم القديمة ومحاولة منا لاستقصاء مركز المرأة الاجتماعي والسياسي في هذه النظم، بدا لنا ان ديانة المصريين القدماء ساوت بين الآلهة الذكر و الآلهة الأنثى. بخلاف الأنظمة القانونية عند الإغريق والرومان الذين لم يولوا اهتماما للمرأة بل الأكثر من ذلك اعتبروها

رجسا من عمل الشيطان..... وعاشت المرأة في الدول الأوروبية أحلك أيامها فبأت بلعنة الخطيئة الأولى، واعتبر الابتعاد عنها من محاسن الأعمال، ومنذ بزوغ فجر الإسلام لاح فجر الحرية للمرأة، حيث ساوى الإسلام في التكاليف الشرعية والفرائض الدينية بين الذكر والأنثى، وأصبحت جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل حيث كانت تشارك في اختيار الحاكم، وتعارضه بل وكانت مستشارة عسكرية وسياسية

هذا الدين لم يلبغ الفوارق في التركيبة الجسمانية والنفسية، ضمانا لكرامة المرأة وقدراتها ولم يجبرها على ممارسة أي عمل يؤثر على بنائها الجسماي. وربما قصة خروج السيدة عائشة أم المؤمنين من بيتها، لحضور معركة الجمل و قدرتها على اتخاذ قرارات مصيرية تتعلق بمستقبل أمة كاملة لخير دليل على ثقة الصحابة في رأيها و إيماننا منهم بمبدأ إقرار الإسلام لحق المرأة في الممارسة السياسية والعسكرية..... وبعد ضعف الدولة الإسلامية غاب الوعي الجمعي بدور المرأة، وغابت عن مسرح الحياة السياسية، وكان لهذا الغياب التاريخي مبررات دينية وعرفية واقتصادية واجتماعية .

ولحد اليوم الممارسة السياسية ذكورية بامتياز في العالم الإسلامي . وإن وجدت بعض النساء فهن حديثات العهد بالعمل الحزبي و السياسي، و كانت “الكوطا” هي الحل الوحيد لفرض الوجود الأنثوي في دواليب السلطة وهي تستحق ذلك لما قدمته من تضحيات . والإشكالية التي تثار اليوم هي:

على الرغم من وجود بعض النصوص التي تحرم ولاية المرأة على المسلمين إلا أن قصة الملكة بلقيس تؤكد قدرة بعض النساء على إدارة شؤون الأمة، وعبر تاريخ الأمة الإسلامية وجدت نساء تولين مقاليد الحكم، لكن بصعوبة، فما هي الظروف التي ساعدت هؤلاء النساء على تولي شؤون الدولة ؟

المطلب الأول : الحقوق المدنية والسياسية للمرأة في الإسلام

كان بعض الفلاسفة ينظرون إلى المرأة على أنها كائن ناقص، مسلوب الإرادة، ضعيف الشخصية، وذهبوا في ذلك إلى حد القول بأنه يجب أن يبقى النساء الرشيدات تحت الوصاية لحفة عقولهن

أما الشريعة الإسلامية فقد نصت على وحدة الأصل و لم يخص المرأة وحدها من دون أخيها الرجل، وأي تخصيص ورد بشأن أحدهما دون الآخر كان سببه الاختلاف البيولوجي لقوله تعالى : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"¹

المطلب الأول : الحقوق المدنية والسياسية للمرأة في الإسلام

الفرع الأول : الحقوق المدنية

إن الحقوق العامة هي تلك الحقوق التي يشترك فيها الناس بغض النظر عن انتماءاتهم أو إلى أوطانهم أو ألوأنهم أو دياناتهم . وهي حقوق مدنية عامة وخاصة

أولا : الحقوق المدنية العامة

الحق في الحياة : إن حق الحياة هو حق ألهي منحه الله لها مثل سائر الكائنات، لقوله تعالى : " وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ "². وكانت بعض المجتمعات قبل الإسلام لا تتقبل ميلاد الأنثى فيظل وجههم كظيم لقوله تعالى : " وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ . وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ "³

إن هذه الآية تعكس حالة الشؤم التي يعيشها الرجل إن ولدت له أنثى، فيعتمد إلى وأدها، وإن كانت صور الوأد تتعدى إلى الوأد المعنوي اليوم وهو أكثر إيلا من الوأد الحقيقي، وليس غريبا أن نقرأ لفلاسفة في العهد اليوناني كأرسطو الذي لا يرى المرأة صالحة إلا للإنجاب وأنها لا يمكن أن تمارس الفضائل الأخلاقية مثل الرجل، فهي مجرد مخلوق مشوه أنتجته الطبيعة. و أفلاطون كان يأسف لأنه ابن امرأة.

فالذكر يتمتع بمركز سيادي على الأنثى انسجاما مع القيم⁴ التي يتمتع بها مجتمع من المجتمعات سواء أكانت دينية أو عرفية حيث يكون للعرف أحيانا سلطان أكثر من سلطان الدين . ويكون للضمير الجمعي سلطة على تصرفات الأفراد، حيث يرى "إميل دوركايم" "أن الشخصية الفردية في ظل المجتمع التقليدي تتعرض بشكل كبير وممنهج إلى عملية إذابة وامتصاص من طرف المجتمع، وحتى إلى أكثر من ذلك، فحسبه دائما فإن "الضمير الجمعي" * يطبق ويكتسح بشكل تام "الضمير الفردي". فتفكير الإنسان التقليدي وشعوره وأفعاله كلها في واقع الأمر، مسائل تملئ عليه

ويتلقاها من الجماعة التي ينتمي إليها. وحسبه دائما فإن حجم الإكراه والضغط الذي يتعرض له الفرد من الخارج، شديد جدا إلى درجة يصعب معها عليه تنمية وتطوير ضميره الفردي⁵.

ثانيا : الحقوق المدنية الخاصة

الحقوق المدنية الخاصة هي حقوق مدنية لكن لا تتشابه مع الحقوق المدنية العامة لكونها لا تثبت للكافة بالمساواة بسبب الحالة الشخصية والمدنية، لأجل ذلك تنوعت بين الحقوق الأسرية والحقوق المالية.

لقد كفل الإسلام للمرأة حق الملكية، والتصرف فيها كيفما تشاء ومنها البيع، والشراء، والهبة، والصدقة، والوصية، والإجارة، والإنفاق، والوقف، والرهن، وفي حال التعدي على حقوقها لم يمنعها المشرع من رفع الدعوى أمام المحاكم و التقاضي للدفاع عن نفسها، وعن ملكيتها.

1. الحق في اختيار الزوج

ينبغي الزواج على ركن الرضا، وأي زواج تم بإكراه المرأة عليه هو زواج باطل والدليل صريح في السنة النبوية، تلك الصحابية وهي الخنساء بنت جذام الأنصارية زوّجها أبوها وهي ثيب من غير استئمارها، فكرهت ذلك، فأنت رسول الله ﷺ وأخبرته، فأبطل نكاحها.

وهذا دليل على أن الزواج باطل لو لن يتوفر فيه ركن الرضا، إلا أن المرأة في كثير من البلاد الإسلامية ما زالت تُجبر على الزواج بمن لا ترضاه، ولست أدري لماذا في هذا الموضوع بالذات يتحرر بعض دعاة الإسلام من سلطة النموذج . وهو بادي للعيان . نموذج المرأة التي يحق لها أن تشتكي من وليها إلى الحاكم أو القاضي، بينما لو أقدمت عليه في مجتمعنا اليوم ستنبذ، وتتهم بأنها امرأة لا تحترم أسرتها، ومن هنا وجب علينا تدشين خطاب جدي يتبنى ضرورة تخليص الشريعة من تفسيرات غير متناسبة مع المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية وتفسيرات تثبت معايير سلوكية رست في الوعي الاجتماعي و تتحدى في بعض الأحيان ما هو مكرس شرعا كحق من الحقوق المرأة.

2. حق المرأة في فك الرابطة الزوجية بالإرادة المنفردة . الخلع

هو الطلاق بعوض وهذا هو الأصل فيه، وقد يكون بلا عوض إذا كان بلفظ الخلع⁶.
ودليله قوله تعالى : " ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به "⁷.

إن تشريع الخلع يعتبر من روائع وعظمة التشريع الإسلامي، لقد أجاز الإسلام للمرأة أن تفك الرابطة الزوجية بالإرادة المنفردة، ودون اعتبار لرضا الزوج، ودون حق طلب الرجعة من الزوج طالما أنها غير راغبة في الاستمرار في هذه العلاقة الزوجية، ففي تشريع الخلع إعلان للإرادة الحرة التي منحها الإسلام للمرأة.

3 حق طلب التطليق لأي ضرر

تطبيقاً للقاعدة الفقهية الضرر يزال، أوجب على المرأة أن تدفع الضرر عن نفسها إذا استحالت التحكيم والصلح وذلك عن طريق طلب التطليق مع حصولها على تعويض لها عن الضرر اللاحق بها

وكما أباحت الشريعة الإسلامية للرجل حق فك الرابطة الزوجية بالإرادة المنفردة، أوجبت عليه تقديم مبلغ مالي . يطلق عليه "المتعة" . حتى وإن لم يكن متعسفا في استعمال حقه، جبرا لحاظر المرأة، و قد الرمت بعض التشريعات العربية في حالة الطلاق التعسفي فقط دفع مبلغ مالي، وللقاضي السلطة التقديرية في تحديده يسرا وعسرا وبقدر الضرر الذي لحق بالمرأة.

الفرع الثاني : الحقوق السياسية للمرأة

أولا :. الحق في الحرية

لقد تعددت الآراء حول مفهوم حرية المرأة، فالحرية تتمثل في قدرة الانسان على اتخاذ قراراته بإرادته المنفردة و الحرة دون إكراه مادي أو معنوي . وهذا ما كفله الإسلام للمرأة مثل أخيها الرجل، لكن للأسف المرأة في بعض المجتمعات الإسلامية لا زالت تعاني القهر والحرمان بسبب سيطرة الأعراف الفاسدة، حيث كان الجسد عبر تاريخ المرأة قد ارتبط بالجانب الأخلاقي ومن ثم كان لزاما على المجتمع من منظوره القيمي تسقيف الحرية للحفاظ على الأخلاق الفاضلة .

الكثيرون ينتقدون حرية المرأة في الإسلام كون أن هذه الحرية ممنوحة في ظل السلطة الأبوية أو السلطة الأسرية أو السلطة السياسية، أي لا يمكن أن تكون المرأة حرة طالما هي تحت ولاية الأب أو أحد عصبتها أو قوامة الزوج . لكن التاريخ الإسلامي يسرد لنا قصة خولة بنت ثعلبة التي استوفقت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلة له : قف يا عمر، فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها، وأطالت الوقوف وأغلظت له القول: هيه يا عمر !عهدتك وأنت تسمى غميراً وأنت

في سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك، ثلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قري عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال لها الجارود : قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال له عمر : دعها.⁸

يعتقد الكثيرون أن الاتفاقية المتعلقة بشأن الحقوق السياسية للمرأة الصادرة عام 1952 التي تعترف للنساء "بحق التصويت والترشح في جميع الانتخابات والهيئات المنتخبة وبتقلد المناصب العامة وممارسة جميع الوظائف العامة بشرط التساوي بينهن وبين الرجال دون أي تمييز". هي أول من أقرت الحقوق السياسية للمرأة لكن الحقيقة غير ذلك، إذ أن المرأة لم تحظ خلال تاريخها الطويل بالإنصاف مقارنة مع ما بذلته من مشاركة في تنمية وتطوير المجتمع .

وحاول الغرب مرارا تقديم مشاركة المرأة في المجالات السياسية كرمز من رموز الحداثة أمام المجتمع الدولي... لكن هناك غياب للتمكين السياسي في هذه الدول، وهو مؤشر على سلطوية المجتمع الذكوري بخلاف الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة إلا في الكفاءة وهذا ما سنتطرق إليه في نماذج من النساء المسلمات السياسيات .

وليس يبعد عنا مشاركة النساء الجزائريات في صنع تاريخ الجزائر من خلال نضالاتها المنقطعة النظير فكن مناضلات سياسيات وقائدات عسكريات و أعضاء في شبكات الدعم على الرغم من أن وضع المرأة الجزائرية كان محدودا في الفضاء الاجتماعي .

ثانيا : حق المبايعه

قال الله تعالى : "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"⁹

تقول الدكتورة هدى بنت دليجان الدليجان: عدم تخصيص الرجال فقط في البيعات الواردة في عهد الرسول - ﷺ - له دلالاته التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، في بناء الدولة الإسلامية بحضور المرأة المسلمة، وشهودها الوقائع العظمى، فليس بالإمكان تغييرها وقد أصبحت فردا من أفراد المجتمع المسلم¹⁰ .

ثالثا :حق المرأة في حماية واستئتمان غير المسلم

ورد في الحديث الشريف "أن المرأة لتأخذ للقوم" ومعناه: أن المرأة تجير على المسلمين، أي أمانها جائز، وهذا الأمر هو من أعظم الأمور و أخطرها في حياة الأمم والشعوب، وعندما تقر الشريعة الإسلامية إعطاء المرأة هذا الحق مثل الرجل؛ معنى ذلك أن الإسلام يعترف بقدرتها عل تقدير المصلحة العامة للدولة، وتأكيد على أن الشريعة الإسلامية رسخت مبدأ تميز المرأة بالكفاءة حتى أثناء النزاعات، وهذا إعلاء لشأنها .

رابعا :حرية اتخاذ القرار في الانتماء لأي بلد

روت كتب الحديث ¹¹ أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط من خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذٍ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي - ﷺ - أن يُرجعها إليهم، فلم يُرجعها إليهم؛ لِمَا أنزل الله فيهنَّ: ﴿ إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ ¹²

إن هذه الواقعة تثبت استقلال شخصية المرأة وقوة إرادتها وعظم شجاعتها وصبرها على المكاره وهي تعبر الفياقي والتلال والصحاري دون خوف، ولا تردد ولو كان حتفها الموت ذلك أن قلبها يملؤه رجاء رضا الله عنها .

في حين وجدت بعض الكتابات من تعتبر المرأة عورة، وعدم مشاركتها في الحياة السياسية هو صون للقيم السامية، وحماية من الانفلات الأخلاقي، وكأن المرأة قاصر ليس لديها عقل تميز به ما هو مباح وجائز وما هو محرم .

وقد استند هؤلاء إلى نصوص عامة من القرآن قال تعالى : " وقرن في بيوتكن وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى " ¹³ ومن السنة النبوية الشريفة قال رسول الله ﷺ : لعن الله قوما ولوا أمرهم امرأة" ¹⁴ وهي نصوص اختلف المفسرون في تأويلها .

المطلب الثاني :دراسة تحليلية لنماذج من الممارسات السياسية للمرأة في الإسلام

أثارت الدكتورة فاطمة المرينسي في كتابها « السلطانات المنسيات نساء رئيسات دولة في الإسلام»: هل كانت بنازير بوتو هي الأولى ؟ لتؤكد أنّ الخيار بسيط،فإما أنه لم يدخل أبداً نساء رئيسات للدولة، وفي هذه الحالة يكون السياسيون الذين أكدوا أنّ بنازير بوتو هي الأولى على حق، وإما أنه وجد في الماضي نساء تولين قيادة دولة مسلمة، ولكنهن شطبن من التاريخ الرسمي، وإنّ إخفاءهن يمثل كل مظاهر الاغتيال التاريخي¹⁵.

هؤلاء السلطانات، أو الملكات لم يكن لهن حق امتلاك لقب الخليفة، لأنه مصطلح اختص به ذكور لارتباطه بالإمامة، و بعض النساء مارسن السياسة إما ممارسة مباشرة أو من وراء ستار ولا تخلو كتب التاريخ من ذكر دورهن مثل شجرة الدر و رضية، الخيزران، وست الحسن وعائشة الحرة في الاندلس لكن حاولت في هذه المداخلة التعرض لحياة نساء مارسن السلطة مباشرة دون الأخريات .

غولدا مائير، و جان دارك وأنديرا غاندي، مارغريت تاتشر، هيلاري كلينتون، أنجيلا ميركل، نجوم لمعت في سماء السياسة، لم يقل أحد الرجال أنهن ضعيفات لأنهن فرضن أنفسهن. وبالمقابل هناك نساء نازعن الرجال في مجال السياسة منذ العصور الأولى للإسلام، لكن المؤرخين عزفوا عن ترجمة وافية لأعمالهن، التاريخ الإسلامي حافل بأجداد نساء ضحين لأجل مبادئ وأهداف سامية على الرغم من إخفاقات هؤلاء النساء، وعبثا نحاول أن نختصر النجاح في شخص الرجل وكأن المرأة غير قادرة على مواجهة الظلم .

الفرع الأول : نماذج من الحاكمات المسلمات

أولا : رضية بنت إلتتمش و شهرتها رضية سلطنة¹⁶ 1240 - 1205 م هي سلطنة

مماليك دلهي تولت العرش في الفترة (1236 - 1240) خلفا لأخيها ركن الدين فيروز، وهي ابنة السلطان شمس الدين إلتتمش.وقد كانت تدرت في حياة والدها على تنظيم الدولة، وتولي شؤون الجيوش وكان يعدها لتكون ولية عهد، وهي أول امرأة تم تتويجها بسلطنة دلهي وأول حاكمة مسلمة أيضا في جنوب آسيا.سنة 436هـ¹⁷ .

ورفضت لقب سلطنة وفضلت سلطان، لأنها رأت أن هذا اللقب يعني الزوجة أو العشيقة، وأنها بهذا اللقب الذكوري ستستطيع السيطرة على المدينة، فقامت بارتداء ملابس الرجال وعمتهم وحملت السيف¹⁸ كانت تحفظ كتاب الله وأملت بالفقه الإسلامي وعهد إلى آخرين بتدريسيها فنون الحرب والقتال وحمل السلاح وركوب الخيل¹⁹.

توليها للحكم

20 وخلفه ابنه ركن الدين توفي السلطان شمس الدين إلتشمش سنة (634هـ / 1236 م) فيروز، غير أنه كان منشغلا عن مسئولية الحكم وتبعاته باللهو واللعب، تاركا تصريف أمور دولته إلى أمته التي استبدت بالأمر وهو ما جعل الأحوال تزداد سوءا، وتشتعل المعارضة ضده، وانتهت الأزمة بأن بايع كثير من الأمراء رضية الدين بنت التتمش، وأجلسوها على عرش السلطنة، وكانت تتمتع بصفات طيبة من رجاحة العقل، وشجاعة النفس، وعلى حظ كبير من الذكاء، تحفظ القرآن وكان أبوها يسند إليها بعض المهام، حتى إنه فكر في أن يجعلها "وليّة. الكريم، وتلم بالفقه الإسلامي للعهد" دون إخوانها الذكور الذين انشغلوا باللهو والملذات، وقد تحقق ما كان يراه أبوها ولا يراه سواه ممن كانوا يعترضون عليه إثارة لها، فما إن آلت إليها السلطنة حتى دلت على ما تتمتع به من 21. صفات، حتى إن مؤرخي الهند، أطلقوا عليها اسم "ملكة دوران بلقيس جهان"، أي فتنة العالم.

فترة الولاية

جلست "رضية الدين" على عرش سلطنة دلهي نحو أربع سنوات (634-637هـ / 1236-1240م) بذلت ما في وسعها من طاقة لتنهض بالبلاد التي خوت خزائنها من المال لإسراف أخيها، وسارت على خطأ أبيها في سياسته الحكيمة العادلة، لكنها اصطدمت بكبار أمراء الملوك الذين يشكلون جماعة الأربعين، ويستأثرون بالسلطة والنفوذ، وحاولت الملكة جاهدة أن تسوسهم، وتحتال على تفريق كلمتهم، وتعقب المتمردين والثائرين عليها، وكانت تظهر بمظهر الرجال، وتجلس على العرش والعباءة عليها، والقلمسوة على رأسها وتقود جيشها وهي تمتطي ظهر فيلها²².

ولما استقرت أحوال مملكتها انصرفت إلى تنظيم شئونها، فعينت وزيرا جديدا للبلاد، وفوضت أمر الجيش إلى واحد من أكفأ قادتها هو "سيف الدين أيك"، ونجحت جيوشها في مهاجمة قلعة

"رنتهبور" وإنقاذ المسلمين المحاصرين بها، وكان الهنود يحاصرون القلعة بعد وفاة أبيها السلطان "التمش" ²³.

لم تنته متاعب رضية عند هذا الحد إذ أعلن حاكم البنجاب الثورة عليها فسحقت رضية تمرده، وانضم متمردون آخرون إلى حكام الأقاليم وأعلنوا عليها الثورة في 1239م وقادت رضية جيشا لمحاربتهم، لكن انقلب الجيش على قائد الفرسان ياقوت جمال وضربوه ضربة رجل واحد، وأخذوها أسيرة لحاكم بهتندا الذي أودعها سجن قلعته ²⁴ وانتهى الأمر بقتلها في (25 ربيع الأول 637هـ / 25 أكتوبر 1239م) وتولّى أخيها السلطان "معز الدين" عرش البلاد. ²⁵

ثانيا: شجرة الدر

حاكمة مصر التي تولت السلطة في القاهرة (ت 1257) الملقبة بعصمة الدين أم خليل، والمؤرخين لا يهتدون إلى نسبٍ محدّد لها، نافين بالجملة أن تكون شجرة الدر تركيّة أو أرمينيّة أو جركسيّة، أو حتى من بنات الفرنجة ²⁶.

كانت جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى اعتقها وتزوجها وأنجبت منه ابنها خليل الذي توفي في 2 من صفر 648 هـ (مايو 1250م). تولت عرش مصر لمدة ثمانين يوماً بمبايعة من المماليك وأعيان الدولة بعد وفاة السلطان الصالح أيوب ²⁷.

أهم أعمالها

وما أن جلست شجرة الدر على العرش حتى أحكمت إدارة شؤون البلاد، وكانت أولى اهتماماتها هو تصفية الوجود الصليبي وإدارة مفاوضات معه انتهت بالاتفاق مع الملك لويس التاسع (القدّيس لويس، كما يسمّيه قومه) الذي كان أسيراً بالمقصورة على تسليم دمياط وإخلاء سبيله وسبيل من معه من كبار الأسرى مقابل فدية كبيرة قدرها ثمانمائة ألف دينار، يدفع نصفها قبل رحيله والباقي بعد وصوله إلى عكا مع تعهد منه بعدم العودة إلى سواحل البلاد الإسلامية مرة أخرى ²⁸.

تنازلها عن العرش

اعتلت عرش القاهرة لكن عانت من معارضة الخليفة العباسي الذي رفض أن يعترف بها مما أجبر الجيش على إعادة النظر في قراراته وسحب الثقة منها عندما قرر ممالك البحرية تولي السلطة في مصر وإنشاء سلالة لهم عوضاً عن الاستمرار في خدمة الآخرين، لكن لم تبق مكتوفة الأيدي بل قررت أن تتزوج عز الدين أيك أقوى قادة المماليك بعد أن علمت باختيار الجيش له وتقديمه للخليفة لاعتلائه العرش في مصر²⁹

ولم تجد شجر الدرّ إزاء هذه المعارضة الشديدة بدءاً من التنازل عن العرش للأمير عز الدين أيك أتاك العسكر الذي تزوجته، وتلقب باسم الملك المعز، وكانت المدة التي قضتها على عرش البلاد ثمانين يوماً³⁰.

وفاتها

رغم محاولات شجرة الدر بإخفاء مقتل أيك، وإظهار الأمر كما لو أنّه وقع عن حصانه، انكشف المستور الذي حاولت شجرة الدر ستره عن المماليك، فحار المماليك في أمر شجرة الدر، غير أنّهم اجتمعوا بعد خلاف شديد على حبسها، وقتلها؛ فشجنت في برج القلعة، وقُتلت بالطريقة ذاتها التي قُتل بها أيك، فضربت بالقباقيب الخشبية حتى الموت³¹

ثالثاً : أسماء بنت شهاب الصليحي³²

أسماء بنت شهاب الصليحية، زوجة علي بن مُحمّد الصليحي ملك اليمن، ووالدة ابنه الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي : من شهيرات النساء . كان يخطب لها مع زوجها على منابر اليمن . قال الخزرجي : إذا حضرت مجلساً لا تستر وجهها . وقال الذهبي : كانت تركب في مئتي جارية في الحلي والحلل ومعها الجنايب بسروج الذهب . وفيها يقول الشاعر : (قلت إذ عظموا بلقيس عرشاً : دُست أسماء من عرش بلقيس أسمى) وحجت مع زوجها سنة 459 (أو 458) فقُتل في (أم الدهيم) وأسرها قاتله سعيد بن نجاح الحبشي، المعروف بالأحوال، فاركبها في هودجها، وجعل أمام الهودج رأس زوجها ورأس أخ لزوجها قُتل معه . وأقامت في الأسر ثمانية أشهر (أو سنة كاملة) في زبيد، ورأساً زوجها وأخيه معلقان أمام طاقة دارها، وابنها (المكرم) في صنعاء لا يدري أين هي . ثم علم ابنها بخبرها، فأقبل في جيش، وظفر بالأحباش، وأنقذها وأنزل الرأسين فجعل عليهما

مشهداً . وعادت مع ابنها إلى صنعاء فتوفيت فيها³³ . كانت ملكة اليمن وزوجة علي بن محمد الصليحي ابن عمها مؤسس الدولة الصليحية. حكمت اليمن مع زوجها وكان اسمها يذكر في خطب الجمعة، وعقب مقتل زوجها، كان ابنها المكرم أحمد بن علي الصليحي يأخذ أوامره منها مباشرة ولكنه لم يستمر في الحكم طويلاً لإصابته بشلل العصب الوجهي فكانت من اختار زوجته أروى بنت أحمد الصليحي لحكم الدولة الصليحية.

رابعا : أروى بنت أحمد الصليحي

هي الملكة سيدة بينت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي، وأسمها (سيدة) تكاد تجمع عليه أغلب المصادر التاريخية، ويورده كذلك معاصرها عمارة اليمني (ت 569هـ/1147م)، ويتابعه بقية المؤرخين، ويتفق معهم في ذلك المؤرخون الإسماعيليون، ومن أبرزهم إدريس عماد الدين الذي يقول بذلك، ويستند إلى نص وصيتها التي تقول في مستهلها: هذا ما أوصت به (سيدة) ابنة أحمد"، وكذلك في أكثر من موضع من الوصية ممّا يقطع الشك باليقين، أما أسم أروى فنرجح أنه لحقها في عصر متأخر كثيراً ولأسباب مانزال نجلها.

ولدت في (حراز) غرب صنعاء، ونشأت في حجر أسماء بنت شهاب (أم المكرم الصليحي أحمد بن علي)، وتزوجها المكرم، وفلج، ففوض إليها الأمور، فاتخذت لها عاصمة (ذي جبلة). وقامت بتدبير المملكة والحروب إلى أن مات المكرم سنة 477هـ/1084م، وخلفه ابن عمه (سبأ بن أحمد) فكتب خليفة مصر إلى الحرة:

قد زوجتك بأمر الأُمراء سبأ على مئة ألف دينار، ومات سبأ سنة (492هـ/1099م)، وضعف ملك الصليحيين؛ فتحصنت بذي جبلة، وأستولت على ماحوله من الأعمال والحصون، وأقامت لها وزراء وعمالاً، وأمتدت أيامها بعد ذلك أربعين سنة، وهي التي دبرت في سنة (481هـ/1088م) أو (497هـ/1086م) قتل سعيد الأحوال أحد قاتلي علي بن محمد الصليحي³⁴ .. والد زوجها.

المعارضة

لما قدم ابن نجيب الدولة إلى اليمن موفداً من الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله سنة 513هـ إلا أنه بدأ منذ سنة 519هـ يسيء إليها ويستخفّ بأمرها ويدّعي أنها قد خرفت واستحقت أن يحجر عليها، وحاول أن ينتزع الحكم منها، ولكنّ أمراء البلاد وشيوخها ساندوها واتهموا ابن نجيب الدولة بالتآمر على الخلافة الفاطمية، فأمر الخليفة بالقبض عليه وإعادته إلى مصر، ولكن السفينة التي كانت تقلّه غرقت في أثناء الرحلة.

وقد عملت أروى إبان حكمها على تشجيع البناء والعمارة وأولت إنشاء المدارس والمستشفيات والمساجد اهتمامها الزائد، ولم يقف نفوذها عند حدود اليمن، فقد عهد إليها الخليفة المستنصر بالله ومن بعده الأمر بأحكام الله بالإشراف على الدعوة الفاطمية في عُمان والهند³⁵.

وفاتها

عمرت طويلاً في الحكم حوالي نصف قرن، وبعد وفاتها سرى التفكك في أوصال الدولة الصليحية

خامساً : يجاوتي سوكارنو بوتري

أول سيدة تتولى رئاسة إندونيسيا، اعتمدت على إرث عائلتها النضالي، فهي ابنة أحمد سوكارنو مؤسس البلاد. حظيت بشعبية كبيرة خاصة في الأوساط الفقيرة، ودافعت عن وحدة الأرخبيل رافضة التفريط في أي جزء منه.

المولد والنشأة

ولدت ميغاوتي سوكارنو بوتري يوم 23 يناير/كانون الثاني 1947³⁶

التوجه الفكري

تؤمن ميغاوتي بالمبادئ التي كان ينادي بها أبوها أحمد سوكارنو بشأن ضرورة المحافظة على وحدة البلاد، لذا وقفت موقفاً معارضا للرئيس السابق يوسف حبيبي و اتهمته بالتفريط في جزء من الأراضي الإندونيسية بعد استقلال إقليم تيمور الشرقية، كما عارضت انفصال الحركات الانفصالية

التجربة السياسية

ظلت ميغاواقي في ريعان شبابها تقوم بدورها أما وربة منزل بعيداً عن الحياة العامة حتى دخلت عالم السياسة عام 1987، عندما حازت مقعداً في البرلمان، ثم طورت من أدائها السياسي ليتم اختيارها عام 1993 زعيمة للحزب الإندونيسي الديمقراطي.

ترأست هذا الحزب ثم انشقت عنه لتكوّن حزب النضال من أجل الديمقراطية الذي استطاع الفوز بثلاث مقاعد البرلمان في أول انتخابات يشارك فيها.

تولت ميغاواقي رئاسة إندونيسيا من 23 يوليو/تموز 2001 إلى 20 أكتوبر/تشرين الأول 2004 خلفاً لعبد الرحمن وحيد الذي أقاله البرلمان، وكانت أول امرأة تتولى هذا المنصب بعد أن كانت نائبة للرئيس. اتهمتها المعارضة بأنها لم تبذل جهداً كبيراً لاستئصال الفساد المستشري في البلاد أو لزيادة دخل المواطنين.³⁷

سادسا : خالدة ضياء الرحمن

بعد انقلاب عام 1982 بقيادة قائد الجيش حسين مُجّد ارشاد، ساهمت ضياء في قيادة الحركة نحو الديمقراطية وحتى سقوط نظام ارشاد الدكتاتوري والعسكري في عام 1990. تم تعيين خالدة رئيساً للوزراء بعد فوز حزبها في الانتخابات العامة عام 1991. بالإضافة إلى ذلك، خدمت لفترة وجيزة في الحكومة قصيرة الأجل في عام 1996 في الوقت الذي قاطعت فيه الأحزاب الأخرى الانتخابات. في الجولة الانتخابية العامة التالية من نفس العام 1996، تم انتخاب عصبة عوامي الشعبية للحكم. عاد حزب خالدة ضياء إلى السلطة في عام 2001. وقد انتُخبت في خمس دوائر انتخابية منفصلة في الانتخابات العامة في 1991 و 1996 و 2001.³⁸

هي أول امرأة في تاريخ البلاد تتقلد هذا المنصب، وتولته لفترة ثانية من 2001 م حتى 2006م، و هي أرملة رئيس بنغلاديش السابق ضياء الرحمن، وتقود حزبه القديم، الحزب الوطني البنغلادشي.

وقد انتُخبت في خمس دوائر انتخابية في 1991، 1996، 2001، وهو مالم يتحقق من قبل أي حزب سياسي آخر في بنغلادش. وفي 2006، قيمت فوربس خالدة ضياء الرحمن في الترتيب 33 بقائمة أقوى امرأة في العالم.³⁹

نهاية رهيبة

وكانت رئيسة الوزراء السابقة خالدة ضياء الدين متزوجة من رئيس بنجلادش السابق "ضياء الرحمن" وهي أيضا رئيسة الحزب الوطني البنجلادشي، وتم توجيه اتهام للسيدة خالدة ضياء وثلاثة من مساعديها باختلاس مبلغ 400 ألف دولار واهدار المال العام واختلاس الخزينة الخاصة بالاعمال الخيرية. وقد بلغت ثروة خالدة ضياء أكثر من 200 مليون دولار في عام 2009.⁴⁰ في 23 نوفمبر 2015 قامت وزارة العدل بالحكم عليها وعلى اثنين آخرين بالإعدام شنقاً أحدهم المستشار الخاص بما على الرغم من طلبهم بالعفو الرئاسي.⁴¹

الفرع الثاني : دراسة تحليلية للممارسة السياسية للمرأة عبر التاريخ الإسلامي

تعد قضايا الممارسة السياسية للنساء من أكثر القضايا التي تثار حولها الجدل خاصة في المجتمعات الإسلامية، حيث أن لفقه دور كبير في توجيه الحياة السياسية، فمعظم علماء الشريعة الإسلامية لا يجيزون إمامة النساء للصلاة فكيف لها أن تكون خليفة للمسلمين وهذا ما نجده في متن بداية المجتهد لابن رشد وحتى أنه لم يطلق على النساء اللواتي تولين مقاليد الحكم مصطلح - خليفة - أو حتى - إمام - دون أن يغفل عن دور التأويل الفاسد الذي رسخ النظرة النمطية للمرأة. وتجاهل تواجدهن وتأثيرهن في الفضاء السياسي، ولكن في ظل سياقات اجتماعية واقتصادية جديدة ومتغيرة بدأت الآراء المعارضة للرأي المتعصب تجد طريقها إلى ترسيخ مفاهيم وقيم لا تمت بصلة إلى المجتمع الإسلامي .

. أولا : العوامل المساعدة لتولي النساء شؤون الحكم

إن هؤلاء السياسيات السلطانات اللواتي وصلن إلى سدة الحكم غالبا كان حكما وراثيا، وإما بإقدامهن على قتل الورثة للإستيلاء على السلطة أو بالوصول إلى السلطة بأنفسهن وحتى قيادة المعارك - وكان لكل واحدة منهن طريقته في سياسة الشعب، وتحقيق العدالة. ومنهن من بقين على العرش لفترة طويلة، وبعضهن ما إن وصلن إلى العرش حتى انتهى حكمهن وأكثرهن انتهى حكمهن عن طريق السم، ونادرات منهن متن على الفراش.

. معظم النساء الحاكمات في التاريخ الإسلامي تعلمن فنون إدارة الحكم من خلال آبائهن أو أحد أفراد عائلتهن أو أزواجهن.

. علاقات القرابة لها دور في وصول النساء للحكم.
. الثراء هو الصفة المشتركة بين هؤلاء النساء لأن من يملك الثروة يملك سلطة القرار .
. استعمال الدين واستغلاله هو المشهد الوحيد الذي يتكرر عبر العصور منذ نشأة
الامبراطوريات الشرقية والغربية قديما، فكان الدين يمثل السلطة الروحية، ليتجاوز السلطة الشرعية،
فكلما حاولت الرعية التمرد إلا وأُقمح الدين للمسك بزمام السلطة .
. امتازت هؤلاء النساء ب : رجاحة العقل، وشجاعة النفس، وعلى حظ كبير من الذكاء،
والحنكة السياسية .

ثانيا : عوائق وصول النساء لسدة الحكم

يمكننا أن نرجع أسباب محدودية مشاركة المرأة في تولي مقاليد الحكم إلى التصور السلبي لدور
المرأة في حالة وصولها إلى مناصب اتخاذ القرار وتواصل نظام قيم تمييزية ارتبط أساسا بغياب مفهوم
المساواة بسبب النظرة النمطية للمرأة.
ولعل المعوقات الاجتماعية والثقافية ساهمت بشكل أو بآخر في تقليص حظوظ وصول المرأة
إلى سدة الحكم .
. سيطرة التقاليد البالية و الأعراف القاسية على وصول المرأة لسدة الحكم . حيث كان للتيار
المتشدد وهم من يشكلون أكثر معارضي اعتلاء المرأة سدة الحكم اعتمادا على نصوص دينية
.ومن ثم لا يمكن للحاكم أن يغير تغييرا جذريا بإقرار المناصفة في اعتلاء المرأة المناصب في الوزارات
السيادية مثلا

الخاتمة

على المرأة أن تثبت وجودها من خلال تنويع المشاركة السياسية لتتضمن قدرة النساء على
نقد واقعهن والتعبير عن تصوراتهن للمجتمع الذي يمثلن نصفه، بحيث لا تحتزل مشاركتهن في
المقاعد والمناصب ولكن تتسع لتشمل قدرتهن على تشكيل خطاب يتناول قضاياهن ويشتبك مع
هياكل الدولة المختلفة، بحيث يصبح تواجدهن في المجال العام تواجد سياسي في حد ذاته، حتى
وإن كان ذلك فقط ليناهض عملية تسييس المجال العام التي قد أخذت مجراها بقوة في العقود
الماضية و تستمر حتى هذه اللحظة.⁴²

الاقتراحات

. إن آلية الكوتا ورغم أهميتها في العالم الإسلامي إلا أنه لا يجب أن يكتفى به فيما بعد، بل على الدول الإسلامية أن تنتهج أسلوباً آخر في ظل استراتيجية ورؤية مستقبلية واضحة يتحقق من خلالها التمكين للمرأة من أن تكون قادرة على إصدار القرارات المصيرية والهامة في المجتمع . وجوب القضاء على كل العراقيل الاجتماعية و التقاليد و الأعراف البالية التي أعاقت الأداء السياسي للمرأة.

. إيجاد مناخ سياسي ومحفزات مادية لمساعدة المرأة في الدخول إلى المعترك السياسي .
- على الإعلام في العالم الإسلامي أن يلعب الدور المنوط به في تنمية وترقية السلوك الحضاري للمجتمع ببيان دور كل من الرجل والمرأة في تحقيق النهضة للأمة الإسلامية .

قائمة الهوامش:

¹ . سورة الإسراء الآية 70

² . سورة التكوين الآية 9.8

³ . سورة النحل الآية 57. 59 .

⁴ . مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجّهات للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلاً لغيره. راجع : علي عبد الرازق جلبي -دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية - دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1984، ص 134.

⁵ Guy Rocher -Introduction à la sociologie générale, l'organisation sociale. Editions HMH, Paris, 1968, PP:66-67

⁶ . شمس الدين بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 2/

347

⁷ . البقرة 227 .

⁸ . الحلبي علي بن إبراهيم بن أحمد، إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة 2، 1427 هـ، 2 / 724 ،

⁹ . سورة الممتحنة الآية 12 .

¹⁰. د. هدى بنت دليجان الدليجان، مجلة الدرعية، العددان التاسع والثلاثون والأربعون،

[/http://www.alukah.net/sharia/0/5450](http://www.alukah.net/sharia/0/5450)

¹¹. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال نشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، 1425هـ-2004م - ج 9 / 231..

¹². سورة الممتحنة الآية 10.

¹³. سورة الأحزاب الآية 33

¹⁴. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 137، حديث رقم 4425، كتاب المغازي، باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر، 7/ 732.

¹⁵. فاطمة المرينسي، السلطانات المسيات، نساء رئيسات دولة في الإسلام، ترجمة معلى وعبد الهادي عباس، ص 14

¹⁶. الدكتور ياسر عبد الجواد، الحياة السياسيّة في الهند في عهد السلطانة رضيّة الدين بنت التتمش

634-638 هـ، مجلة المشرق للأب شيخو اليسوعي، أسسها عام 1878، السنة التاسعة وثمانون، كانون الثاني حزيران، 215، 1 /

<https://www.marefa.org>

¹⁷ Table of Delhi Kings: Muazzi Slave King The Imperial Gazetteer of India, 1909, v. 2, p. 368..

¹⁸ . <http://www.masrawy.com>

¹⁹. شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحقيق : حسام الدين نور، دار إبداعات للدراسات والنشر، القاهرة، 121/3

20

²¹. بتصرف عن : أحمد محمود الساداتي: المسلمون في شبه القارة الهندية، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، 130/1 - 131

²² . <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

²³ . <https://islamstory.com/ar/artical/>

²⁴. عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة رضا كحالة، مؤسسة الرسالة

ناشرون، 63/1

²⁵. الساداتي، مرجع سابق، ص 131 وما بعدها .

²⁶. محمد سعيد العريان. شجرة الدر. رواية . مصر: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، صفحة 26.
بتصرف.

²⁷. للتوسع أكثر راجع : أمين معلوف، الصليبيون من وجهة نظر العرب، طبعة 1983، ص 253 وما
بعدها .

²⁸. محمود شلبي (حياة شجرة الدر (الطبعة الثانية)، بيروت- لبنان: دار الجليل، 1987، صفحة
20، 21. بتصرف

²⁹. للتوسع أكثر راجع : زينب فواز العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المكتبة الكبرى،
بوراق، مصر، طبعة 1985م

³⁰. بتصرف عن : متصور عبد الحكيم، السلطان سيف الدين قطز بطل عين جالوت وقاهر المغول،
دار الكتاب العربي، دمشق، بيروت، 120 . 122

³¹. بتصرف عن : نور الدين خليل، شجرة الدر قاهرة الملوك ومنقذة مصر، دار الكتب المصرية، طبعة
2005، ص 84 أ 86 .

³². الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة 15، 2002، 1 / 290

³³. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين؛ سنة النشر: 2002؛ رقم الطبعة: 1/45/15 .

³⁴. الموسوعة اليمنية (أ. ت)، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، اليمن، إشراف : أحمد جابر عفيف،
الطبعة الخامسة، 264/1 .

³⁵ . <https://libral.org/vb/showthread.php>

³⁶ . <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

³⁷ . <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/4/2>

³⁸ . <https://ar.wikipedia.org/wiki>

³⁹ . <https://marefa.org>